كلمة في القلب المكاني

قد يكون القلب المكاني ظاهرة لغوية، وقد نظر إليها أهل العربية على هذا النحو، وكأني أميل إلى أنها شيء يتجاوز هذا فهي ضرب مما ندعوه «لغة»، ألا ترى أن الجماعة التي نطقت بالكلمة «جَبَذ» هي غير الجماعة التي درجت في عربيتها على «جذب»، ومثل هذا يقال في «صاقعة» و «صاعقة» ونحو هذا من الكلم الذي أشير إليه في كتب اللغة في مسألة «القلب المكاني».

أقول: وربما تتجاوز هذه الظاهرة اللغوية جملة الكلم الذي حمل على القلب، وكأنهم اشترطوا في الأصل ومقلوبه أن يكونا بمعنى، غير أني أرى أن هذه الظاهرة تندرج في جملة المواد التي تألفت منها العربية. وإذا كان «الإبدال» في العربية مادة في توليد الدلالات والتوسع فيها، فكذلك كان ما يدعى بـ «القلب المكاني» شيئاً من ذلك.

إن استقراءنا للعربية يقفنا على مواد كثيرة جرى فيها المعربون، أو قل سمحت بها العربية إلى الافتنان في اختلاف الدلالة مع شيء يجمع جمهرة هذه المواد في معنى عام يسري في عامَّة هذه الألفاظ.

ألا ترى أن: فَرَقَ و فَقَرَ، وفَرَجَ وفَجَر، وحَدَرَ، ودَحَرَ، وهَدَر ودَهَرَ، شيء من هذه الدلالات التي توسع فيها فكان بينها اتفاق واختلاف في الوقت نفسه؟ وربما لم يلتفت الكثير إلى أن بين «مَدَحَ» و «حَمِدَ» وشيجة رحِم، ومثل هذا يقال في «دَعَمَ» و «عَمَدَ». ولو أنك استقريت العربية لوجدت هذه القرابات المتواشجة بين طوائف جمَّة من الكلم.

أُثْأُصِيل
Iseel

وقد يلمح هذا بجلاء في الألسن الدارجة المعاصرة، وهو شيء من خصائصها ألا ترى أن أهل بعض هذه الديار العربية يقولون «لَخبَطَ» في حين يقول غيرهم في بلد آخر خلبط.

ثم ألا ترى أن الشامي يقول: «بَحص» لصغار الحصى، وهو «حَصَب» في الفصيحة المشهورة.

ولو أنك استقريت ما انحرفت به الألسن الدارجة عن الفصيحة فكان شيئاً يندرج في الظاهرة لوقفت على الكثير.

ويطيب لي أن أشيد بالعمل النافع الذي أنجزه الأخ الدكتور عبدالفتاح الحموز في هذا الباب، وليس ذلك بغريب عنه فهو من أولي الجد والعزم.

الدكتور ابراهيم السامرائي

المقدمة

تكاد مكتبتنا النحَويّةُ تخلو تماماً مِنْ مُؤلَّفٍ يجمع في ثناياهُ ما يدورُ في فَلَكِ ظاهرةِ القلب المكانيِّ مِنْ حيثُ حَصْرُ تلكَ الكلماتِ العربيَّةِ التي حُمِلَتْ عليها، وتلك الأسبابَ التي ألجَأَتِ العربَ إليها، والأدلَّةِ التي يُمْكِنُ اتّخاذها عُمْدةً وقبسًا يُنيرُ الدرْبَ لمعرفة الأصل مِنَ المقلوب. وتكادُ كتُبُ التصريفيِّيْنَ والنحويين القُدامى التي أَفْرَدَتْ لها أمْكِنَةً تُتوارَثُ فيها الألفاظُ التي عُدَّت مقلوبةً، ولعلَّ السيوطيَّ يُعَدَّ أكْثَرَ النحويِّيْن جمعًا لها في مصنَّفِه النفيسِ (المُزْهِر في علوم اللغة) وغيرِه، ولسنا نُنْكِرُ أنَّ ليعقوبَ بن السِّكِّيت مُؤلَّفاً في القلبِ والإبْدالِ، والقولُ نَفْسُهُ مَعَ الزجاجيِّ في كتابه (الإبدالُ والمُعاقبةُ والنظائرُ)، ولكنَّ هذين الكتابَيْنِ لَمْ تصل يَدُنا إليهما. ولقد حاوَل هؤلاءِ القُدامى تعليلَ هذه الظاهرةِ وتدوينَ الأدلَّةِ التي يُعرَفُ بها الأصْلُ، ولعلَّ ما يعِّززُ هذه المحاوَلَة كتابُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عُمَرَ الجبَّان (انتهازُ الفُرَصِ في تفسير المقلوب مِنْ كلامِ العَرَب)[1]، والقولُ في هذا المصنَّفِ كالقول في سابِقَيْهِ. ويكادُ النحويُّونَ والتصريفيُّونَ القُدامى يُجْمِعوَن على وُجودِ هذه الظاهرةِ في العربيَّةِ إلا ابنَ دُرستويهِ الذي أَنْكَرَها في كتابِهِ (إبْطالُ القَلْبِ) كما أَنْكَرَ غيرَها في كتبِ إبْطال أُخرى كما سيأتي.

أمَّا الدارسون المحدثون فلا يَخْرُجونَ عَنْ فلكِ النحاةِ والتصريفيِّيْنْ القدامى مِنْ حيثُ حصرُ الكلماتِ التي عُدَّتْ مقلوبةً وأدلَّةُ هذهِ الظاهرة وأسبابُها إذا استثينا تلك المحاولاتِ التعليليَّةَ التي طالعنَا بها بعضُ المستشرقين مِنْ حيثُ إرْجاعُ بعضِ الكلماتِ المقلوبَةِ إلى الأصل الساميِّ وإِخْضاعُ بعضٍ آخَرَ إلى المنهج الصوتيِّ. ولقد حاول الدكتور إبراهيم انيس إخْضَاعها لِما أسماه بالسلاسل الصوتيَّةِ، ولقد انتهى إلى أنَّ

(١) انظر السيوطي، بغية الوعاة، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: ١/ ١٨٦.

المقلوبَ أكْثَرُ استعمالاً مِنَ المقلوبِ منه، وهي محاوَلَةٌ لسنا نوافقهُ فيها؛ لأنَّه لَم يَعْتَمِد فيها إلَّا على ألفاظٍ قليلةٍ لا يُقاسُ عليها، فلا بُدَّ مِن أنْ يُخْضِعَ لسلطانِها تلكَ الألفاظَ التي تُعَدّ مقلوبةً عند البصريين والكوفيين وغيرهم بعد استقصائها في مظانِّ اللغة المختلفة.

وبعدُ فلقد رأَيْتُ أنْ أسُدَّ تلكَ الثغْرَةَ في مكتبتِنا النحويَّةِ والصرْفِيَّةِ بهذا المُؤلَّفِ الذي دَوَّنْتُ فيه تلك الألفاظ التي تُعَدَّ مقلوبةً عند البصريِّينَ والكوفيِّينَ وغيرِهِمْ عُمْدَتي في ذلكَ مَظانُّ اللغةِ والنحوِ المختلفةُ، والقرآنُ الكريمُ وقراءاتُهُ، ولقد استطَعْتُ فيه الوصولَ إلى ألفاظٍ ثَرَّةٍ محمولةٍ على هذه الظاهرةِ، وهي مسألةُ تعززُ شيوعَها في العربيَّة مِمَّا يجعلني أدعو إلى قياس تلك الألفاظ التي نَسْمَعُها مِنْ بعضِ العامَّة مِنْ غير تردُّدٍ إذا توافَرْتْ شروطُ القَلْبِ وقيودُهُ.

ولقد انتَهَيْتُ مِنْ تلك الألفاظِ التي عُدَّتْ مقلوبةً إلى أَهَمِّ أَدلَّةِ القلبِ المكانِيِّ وقيودهِ وأغراضِهِ وأسبابِه.

وكثيراً ما يطالِعُنا النحاةُ والتصريفيُّونَ القدامى بذكْرِ المقلوباتِ مِنْ غير أنْ يُشيروا إلى المقلوبِ منه أو المقلوبِ وبخاصةٍ فيما كان مِنْ باب جَذَبَ وَجَبذَ وأَضرابِهما، ولذلك تطالِعُنا عباراتٌ مِنْ مثلِ: ومِنَ المقلوبِ جَذَبَ وجَبَذَ، وهذه اللفظةُ لغةٌ في تلك أو مِثْلُها.

ولقد رأَيْتُ أنْ يكونَ هذا البَحْثُ في ثلاثة فصولٍ:

(١) الفصل الأوَّلُ: في أهَمِّ ما يدورُ في فلَكِ القلبِ المكانِيِّ مِنْ حيْثُ المعنيان اللغويُّ والاصطلاحيُّ، ومواقِفُ التصريفيِّين وغيرِهم من القدامى والمحدثين منها، وأنواعُ القلبِ المكانِيِّ في العربيَّة.

(٢) الفصلُ الثاني في ظاهِرَةِ القلبِ المكانَيِّ في الكلمة العربيَّةِ، ولقد استطعت في هذا الفصلِ أنْ أُدَوِّنَ أَهمَّ أسبابِ هذه الظاهِرَةِ وأدِلَّتها وأغراضِها، ولقد أَتْبَعْتُ ذلِكَ بِتَدوينِ الألفاظِ العربيَّةِ المقلوبةِ التي وَصَلَتْ إليها يدي، ولقَد وزَّعْتُها في ثنايا هذا البحثِ عُمْدتي في ذلك أوْزانُها المقلوبَةُ في جموعِ التكسيرِ والأسماءِ والأفعْالِ.

ولعلَّ أهَمَّ مسائِلِ هذا الفصلِ ما يلي:

(آ) تقديمُ العينِ على الفاءِ في ثلاثِيِّ الأصولِ.
(ب) تقديمُ اللامِ على العَيْنِ في ثلاثِيِّ الأصولِ.
(جـ) تقديمُ اللامِ على الفاءِ في ثُلاثِيِّ الأصولِ.
(د) تأخيرُ الفاءِ عَنِ اللامِ في ثُلاثِيِّ الأصولِ.
(هـ) تقديمٌ وتأْخيرٌ يدورانِ في فَلَكِ ما هـو أَكْثَرُ مِنْ ثلاثَةِ أَحْـرُفٍ أَصيلةٍ.
(و) تقديمٌ وتأْخيرٌ يدورانِ في فلك الحروفِ الزائِدَةِ.

ولقد انتهيت في هذا الفصلِ إلى أنَّ تقديم اللام على العَيْنِ والتقديمَ والتأخيرَ اللذينِ يدورانِ في فلكِ ما هو أَكْثَرُ مِنْ ثلاثَةِ أُصولٍ أَكْثَرُ شيوعًا في العربيَّةِ من غيرهما.

ولقد انتهيْتُ فيهِ أَيضًا إلى أنَّ في العربيَّةِ أَلفاظًا خماسيَّةً محمولةً على هذه الظاهرةِ، وهي مسألةٌ أَنكَرَها ابنُ جنِّي، ولقَدْ وَصَلَتْ يدي إلى ثلاثة أَلْفاظٍ، وهي: القَطْرَبوسُ في القَرْطَبوسِ [1]، وقِرْعَطْبةٌ في قِرْطَعْبَةٍ[2]، وزَبَـرْدَج في زَبَـرْجَدٍ[3].

ولقد انتَهْيتُ فيه أَيضاً إلى أنَّ المقلوبَ والمقلوبَ مِنهُ يجبُ أَنْ يتَّحِدا في الوَزْنِ والمعنى في الغالِب، وقد تطالعنا أَلْفاظٌ يختَلِفُ فيها الوزْنُ، نحوُ: جاهٍ في وجْهٍ، فالأولى مِنْ بابِ (فَعَل)، والثانيةُ مِنْ بابِ (فَعْلٍ)، والقولُ نَفْسُهُ في: فُقا في فُوْقٍ، وحُوْشيٌّ في وَحْشِيٍّ، ولَهْيَ أبوك في: لاهِ أبوكَ، وسَـرَنْدى في سَنْدَرى. وقد يُطالِعُنا أَلفاظٌ قَلَّتْ فيها حروف المقلوبِ عن المقلوبِ مِنْه أَوْ زادَتْ، ومِنْ ذلك الدَّلْبُ في الدَّيْبل، ويَهْياه في هَيْهاه في أَحدِ الأَوْجُهِ، وهي مسأَلَةٌ سَتَتَّضِحُ فيما بعدُ.

(٣) الفصلُ الثالِثُ في ظاهرةِ القلبِ المكانِيِّ في الجملةِ، وتَدُور في فَلَكِه المسائِلُ التاليةُ:

(آ) مواقِفُ النحويِّيْن القُدامى مِنْ هذه الظاهرة.
(ب) القلبُ المكانِيُّ في الجملةِ في الشعرِ العربِيِّ.
(جـ) القلبُ المكانِيُّ في الجُمْلَةِ في النثرِ العربيِّ.
(د) القلبُ المكانِيُّ في الجملةِ في القرآنِ الكريمِ وقراءاته.

---

(١) انظر الصفحة: ١٣٦ من هذا البحث.
(٢) انظر الصفحة: ١٣٨ من هذا البحث.
(٣) انظر الصفحة: ١٤٢ من هذا البحث.

ISeel أُصِيل

ولقد انْتَهَيْتُ في هذا الفصلِ إلى أنَّ في القرآنِ الكريمِ مواضِعَ يُمْكِنُ أنْ يُقاسَ عليها مِنْ غيرِ تَرَدُّدٍ، فلا ضرورَةَ إلى ادعاءِ عَدَمِ القَلْبِ لتنزيهِ كتابِنا الكريمِ عَنْهُ، ولعلَّ ما يُعَزِّزُ ما نَذْهَبُ إليه ما في الكلامِ العربيِّ المنثورِ مِنْ شواهِدَ، والقولُ نَفْسه فيما يُطالِعُنا مِنْ شواهِدَ شِعْرِيَّةٍ مِنْ غيرِ التفاتٍ إلى عدِّ النحاةِ ذلك مِنْ بابِ الضرورةِ الشعريَّةِ.

وبعدُ فأَسْأَلُ الله أَنْ يوَفِّقَنا عالِمِيْنَ ومتَعَلِّمِيْنَ، وأَسْأَلُه المَغْفِرَةَ إِنْ زَلَلْتُ أَوْ تعثَّرْتُ، وَجَزيلَ الثواب إنْ أَصَبْتُ.

المؤلِّف
د . عبدالفتاح أحمد الحموز
جامعة مؤتة